

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس الحادي عشر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على إمام المرسلين؛ نبينا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الحديث الثامن والعشرون

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغُدُوِّ وَالرُّوحَةِ، وَشَيْءٌ مِنَ الدَّلْجَةِ» متفق عليه. وفي لفظ: «والقصد القصد تبلغوا».

أورد المصنّف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذا الحديث الجامع في بيان يُسر الشريعة، وأن دين الله عَزَّ وَجَلَّ دين يُسر وسهولة وليس دين عنت وحرَج ومشقة؛ بل هو دين يُسر في عقائده وعباداته وأحكامه، فهو يُسر كله عقائده أصح العقائد وأنقاها وأزكاها وأطيبها، وعباداته أتم العبادات وأكملها وأقومها، وأخلاقه أجمل الأخلاق وأطيبها، فهو دين مُيسر ليس فيه عنت وإنما يسره رب العالمين ورفع عن أتباعه الحرج. قال: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ» وقوله: «يُسْرٌ» هذه صفة للدين كله، فالدين كله يُسر.

وقد عرفنا فيما سبق أن الدين يتناول العقيدة، ويتناول العبادات شرائع الإسلام الظاهرة، ويتناول مقامات الدِّين الرفيعة، كما جاء في حديث جبريل ذكر الإسلام وذكر الإيمان وذكر الإحسان، ثم قال في تمامه: «هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم» فالدين يتناول العقيدة التي وردت في قوله: «أَنْ تَوْمَنَ بِالْقَدْرِ خَيْرٌ وَشَرُّهُ» ويتناول أيضًا العبادة والشرائع الظاهرة المبنية على الخمس في قوله: «أَنْ تَشْهَدَ أَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ»، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج بيت الله الحرام فهذه من دين الله جل وعلا، وأيضًا آداب الدين الجميلة وأخلاقه الحميدة، فكلها يُسر العقيدة يُسر، والعبادة يُسر، والأخلاق يُسر، وليس في الدين عنت ولا مشقة لا في عقائده ولا في عباداته ولا في أخلاقه وآدابه.

أما العقائد فعقائد الدين عقائد صحيحة نقية زكية طيبة تتلقاها القلوب السليمة والعقول القويمة بانسراح وانسباط وارتياح وقبول لجمالها وصفائها ونقاها وموافقتها للفطر السليمة والعقول المستقيمة بخلاف العقائد الكاسدة والآراء المنحلة، فإن دعوة الناس إلى اعتقادها هي في الحقيقة دعوة للضييق والحرَج والعنت والمشقة لأنها تصادم فطر الناس وتصادم عقولهم، وأمَّا العبادات فعبادات هذا الدين

عبادات سهلة مُيسرة، والعبادات مبنية على خمس قال: «بُني الإسلام على خمس...» الحديث. مبنية على خمس:

الشهادتان وهي أساس الإسلام وهي كلمتان واضحتان فهما إخلاص للمعبود ومتابعة للرسول ﷺ. والصلاة فريضة في اليوم والليلة خمس مرات تزكي العبد وتتمم دينه وتقوي صلته بالله تبارك وتعالى وبها تفر عينه وتطمئن نفسه وينشرح صدره.

والزكاة لا تجب على كل أحد، وإنما تجب على من ملك النصاب، وحال على ماله الحول فإنه يزكي وهي على اسمها زكاة تزكية وتنقي ماله وبيارك له فيه، وما نقصت صدقة من مال، كما سيأتي في الحديث عن رسول الله ﷺ.

وأما الصيام فإنه لا تجب إلا في السنة مرة واحدة في شهر رمضان، وهو فيه من المنافع والفوائد والكمالات ما لا حصر له ولا عد.

والحج لا يجب في العمر كله إلا مرة واحدة، وأيضاً ليس على كل أحد وإنما على المستطيع ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

ففرائض الدين مُيسرة سهلة، وأيضاً فيها المنافع العظيمة والفوائد الكثيرة التي لا حصر لها ولا عد، ولا يأمر هذا الدين إلا بخير ولا ينهى إلا عن شر فهو دين يُسر، وإذا علم أهل الدين يُسر دينهم عليهم أن يُقبلوا عليه دون زيادة أو تقصير ودون إفراط أو تفريط، فالمطلوب هو التوسط والاعتدال، ولهذا جاء في بعض الألفاظ كما قال المصنف رحمه الله: «**القصد القصد تبلغوا**» والقصد: هو التوسط بين الإفراط والتفريط، والزيادة والتقصير، والغلو والجفاء، ودين الله وسط كما قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، وخيار الأمور أوساطها لا تفريطها ولا إفراطها، والقصد هو التوسط، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ [لقمان: ١٩]، ومعنى ﴿أَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ أي: توسط فيه ليكون مشيك مشياً وسطاً، لا بالسريع المنفع، ولا بالبطيء المتماوت، وإنما بين ذلك قصداً أي: متوسطاً، «**القصد القصد تبلغوا**» أي التوسط والاعتدال، والبعد عن الغلو والجفاء، والإفراط والتفريط، وهذا يتحقق للبعد بإقباله... و«**الن** يُشاد أحد الدين إلا غلبه» فإذا حصلت من الإنسان عدم قناعة بالدين وعدم رضا بكفايته فيحصل منه نوع مشادة للدين فالدين يغلبه، والغلبة لدين الله تبارك وتعالى، ومن غلبه الدين حصل فيه النكوص والرجوع والقهقري وعدم الاعتدال في الأمور وحصل له من العنت والمشقة والحرَج ما يكون قد جره لنفسه بسبب

عدم امتثاله للدين المُيسَّر بضوابطه الشرعية وقواعده المرعية.

قال: «**فسددوا وقاربوا**» وتأمل هذه الوصية في هذا المقام العظيم، قال: «**فسددوا وقاربوا**» أوصى بأمرين عليه الصلاة والسلام تجاه هذا الدين الميسَّر:

الأوَّل وهو أعلاهما وأرفعُهما شأنًا السَّداد، قال: «**سَدَّدُوا**» والسداد إصابة الحق وموافقته، يُصيب الحق ويوافق، وهذا هو تمام الاعتدال وكمال التوسط أن يصيب الحق بأن تأتي أعماله موافقةً للسنة على وفق هدي النبي الكريم ﷺ، فينهج نهجَه ويلزم غرضه ويهتدي بهديه صلوات الله وسلامه عليه، فيكون عمله على السَّداد ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب]، ومن دُعاء النبي ﷺ، ومن الدعاء المأثور ما علمه النبي ﷺ عليًا رضي الله عنه وهو في «صحيح مسلم» قال: علّمني دعاء أدعو الله به قال: «قل اللهم إني أسألك الهدى والسداد» والسداد هو: إصابة الحق، وموافقة الصَّواب، قال: «**سَدَّدُوا**» فهذه أعلى الرُّتب وأتم ما يكون؛ أن يكون أمر الإنسان على السداد.

فإن لم يتمكَّن من ذلك فعليه بالمقاربة، قال: «**وقاربوا**» من لم يتمكَّن من السداد يقارب من السداد، ولا يقول الإنسان: إذا كنت لم أتمكَّن من السداد فإني أترك كلَّ شيء، هذا خطأ، فمن لم يتمكَّن من السداد يقارب ويجاهد نفسه مقاربة تلو مقاربة حتى يعلو به الأمر فيبلغ السداد، والمقاربة دون السداد؛ لأن السداد هو الموافقة، والمقاربة دون ذلك؛ يعني قريبًا من السداد وهو دونه، فإذا كان لن يتمكَّن من السداد لضعف المجاهدة عنده وقصور في همَّته وتوان في عزيمته فلا يترك كلَّ شيء، وإنما يقارب ويجاهد نفسه على المقاربة، ثم إذا حصلت المجاهدة منه للمقاربة وزاد في المجاهدة يبلغ السداد، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت].

قال: «**سَدَّدُوا وقاربوا وأبشروا**» وهذه بشارة يعني ما كنت ماضيًا على هذه الحال فأبشر، حال السداد وحال المقاربة فأبشر، أي: أبشر بحُسن العاقبة وطيب المال وجميل المآب؛ لأنك على خير في سدادك أو في مقاربتك، أبشر.

وقوله: «**أبشروا**» فيه أهمية الترغيب في الخير والحث عليه، وبيان الآثار الحميدة التي ينالها أهله لما في ذلك من التَّشْيِيط والمُعَوْنَة ورفع الهمة والعزيمة، ولهذا قال: «**وأبشروا**» وإذا سمعَ المسلم هذه الكلمة «**أبشروا**» أنست نفسه واطمأن ونشط وتحركت عزيمته، فأبشر ما دُمت على السداد أو مقاربًا للسداد أبشر. ثم قال: «**أبشروا**» ولم يذكر بأي شيء أبشروا لم يقل بالجنة، ولم يقل مثلاً برضا الله، ولم يقل مثلاً

بسعادة في الدنيا، ولم يقل بطمأنينة العيش وهدوء البال، قال: «**أبشروا**» ولم يذكر المتعلّق، والقاعدة في مثل هذا المقام أن حذف المتعلّق يفيد العموم، قال: «**أبشروا**» ولم يذكر بماذا، فهذا يُفيد العموم، فهو يتناول البشارة بكل خير، وبكل ما يسر ويفرح في الدنيا والآخرة، وكل ما تتناوله بشارة الخير من معنى، فهو داخل للإطلاق، والإطلاق يدل على العموم، فليشتر بكل خير وفلاح وسعادة في الدنيا والآخرة من كان على السداد ومن كان على المقاربة وكل له هذه البشارة، وإن كانوا ليسوا فيها سواء فمن هو على السداد أعظم حظاً وأجل قدراً وأرفع مكاناً ممّن هو على المقاربة وفي كلّ خير.

قال: «**واستعينوا بالغدوة، والروحة، وشيء من الدلجة**» الغدوة: السير في أول النهار، والروحة: السير في آخره، والدلجة: السير في الليل، ويعرف الناس قديماً ومن كانوا يسافرون على الإبل أن هذه الأوقات الثلاثة هي أحسن أوقات المسير لقطع المسافات وقطع المفاوز، الغدوّ الذي هو في أول النهار وفيه بركة «بورك لأمتي في بكورها»، والرواح الذي يكون في آخر النهار، والدلجة التي هي السير في الليل، وهذه الأوقات الثلاثة هي أريح الأوقات وأنسبها للمطي التي يركبونها، فإذا مشت في هذه الأوقات فإنه أريح لها بخلاف إذا جعلوها تمشي في القائلة وفي شدة الحر وفي شديد حرارة الشمس فإن هذا فيه مشقة وضرر، ولهذا أفضل الأوقات وأريحها للدواب ولمن يركب عليها هذه الأوقات الغدوة، والروحة، والدلجة.

فقال: «**استعينوا بالغدوة، والروحة، والدلجة**» بهذه الأوقات الثلاثة، وهذه الأوقات الثلاثة كما أنها أطيب الأوقات وأحسنها لقطع المسافات في أسفار الدنيا؛ فكذا هي أطيب الأوقات وأحسنها لقطع المسافات في السير إلى الدار الآخرة، فهي أوقات طاعة وأوقات ذكر وعبادة، أول النهار وآخر النهار هذا خير وقت الذكر وأحسنه، فيستعين بهذه الأوقات حفاظاً على فتح اليوم بذكر الله ﷻ واستقبال اليوم بالذكر والدعاء والإتيان بما ثبت عن النبي ﷺ في ذلك وكذلك في آخر النهار.

ولهذا هناك أذكاء مشروعة أول النهار وآخر النهار فيحافظ المسلم عليها، ويحافظ أيضاً على الطاعات العظام وما فرضه الله تبارك وتعالى ففي أول النهار يُفتتح بصلاة الفجر وآخر النهار يختم بصلاة المغرب، وهذا كله مما يُستعان به ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ١٥٠].

وكذلك قوله: «**عليكم بالدلجة**» والدلجة: السير في الليل، وكما أن سير الليل مريح للدواب فإنه أيضاً فرصة للسير بطاعة الله وقيام الليل وتلاوة كلام الله ﷻ، وفي الليل وقت هو وقت إجابة ينزل فيه الرب العظيم كل ليلة إلى السماء الدنيا يقول: «من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له» في الثلث الأخير من

الليل، فكل هذا يُستعان به وهو نافع في هذه الأوقات نافعة غاية النفع في سير الدنيا وفي سير الآخرة.

ثم ذكر المصنّف رَحِمَهُ اللهُ لفظة وردت وهي في «صحيح البخاري» قال: **«القصْد القصْد تبلغوا»** وعرفنا معنى **«القصْد، القصْد»**، وقوله: **«تبلغوا»** أي: تبلغوا عالي المقامات ورفيع المنازل، ومن يغالون في الدّين قد تكون سبب مغالاتهم إرادة بلوغ عالي المقامات، فلا يقنعون بما في الدّين من يُسر وما فيه من كفاية فيُغالون، ويكون مرادهم بالمغالة والتّشديد على أنفسهم بلوغ عالي المقامات ورفيع الرّتب؛ لكنهم لا ينالون ذلك بغلوهم؛ لأنّ الغلو في الدين لا يصل به الإنسان إلى عالي المقامات؛ لأن دين الله جل وعلا فيه كفاية فمن تجاوزه فهو كمن قصر فيه، والمطلوب التوسط والاعتدال قال: **«القصْد القصْد تبلغوا»**، فإذا كنت تريد أن تبلغ المقامات العالية فبالقصْد لا بالغلو، قد قال عليه الصلاة والسلام **«إيّاكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدّين»** فالدّين فيه كفاية ومن غالى في الدّين ولم يقنع بكفاية الدين فهو في سبيل هلاك؛ كما قال: **«إنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدّين»**.

الحديث التاسع والعشرون

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«حق المسلم على المسلم ست»**، قيل: ما هن يا رسول الله؟ قال: **«إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه»** رواه مسلم.

ثم أورد المصنّف هذا الحديث، حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في حقّ المسلم على أخيه المسلم.

والحقوق ثلاثة: حق لله جل وعلا، وحق للرسول ﷺ، وحق لعباد الله المؤمنين.

وحقوق عباد الله تتفاوت بتفاوت مقاماتهم، قد مضى إشارة إلى شيء من ذلك، فالأبوان لهما حق خاص، والأقارب لهم حق خاص، والجيران لهم حق خاص، وهكذا تتفاوت الحقوق بتفاوت المقامات والمنازل، قد مضى شيء من الحديث عن هذا عند قوله: **«أنزلوا الناس منازلهم»**.

وهذا الحديث عن حقوق عباد الله بعضهم مع بعض، ودين الله جل وعلا من كماله نظّم أحوال الناس ورّتب أمورهم وبين المعاملة التي ينبغي أن يكونوا عليها بينهم وبين بعض، من آداب كريمة، وأخلاق قويمّة، ومعاملات طيّبة، يتحقق بها وثامهم، وتقوى بها لُحمتهم، وتتم بها مصالحهم، والحقوق حقوق المسلمين بعضهم مع بعض عديدة، لكن أهمها هذه الستة المذكورة في الحديث، قال: **«حق المسلم على المسلم ست»** مضى غير مرة ذكر ما في الرقم من فائدة للضبط والإتقان **«حقّ المسلم على المسلم ست»**.

قال: «إذا لقيتَه فسلم عليه» وهذا الحق الأول إذا لقيتَه فسلم عليه، والسلام زينة الإسلام وجماله بين أهله فهم يتلاقون يلقي بعضهم على بعضهم السلام، والسلام دعاء للمسلم عليه بالسلامة "السلام عليكم" هو دعاء له بالسلامة بأن يسلمه الله جل وعلا، دعاء له بالسلامة ويرد عليه المسلم عليه بالمثل يقل: "وعليكم السلام" فيدعو له بمثل دعوته فهي دعوة له بالسلامة، ومن تدعو له بالسلامة إذا كنت تدعو له بها فعلاً صادقاً فإن هذا يعني أن قلبك لا يحمل عليه غلاً، ولا يبطن له شراً، ولا يحضر له عدواناً، لأنك تدعو له بالسلامة أن يسلمه الله، وهذا فيه إشارة إلى أن السلام كما أن لفظه ينبغي أن يُشاع... فكما أن ألسنتهم تنطق عند التلاقي تنطق بالدعاء بالسلامة فإن قلوبهم كذلك ينبغي أن تبطن الخير والسلامة، فلا يضمّر شراً ولا يبطن عدواناً ولا يحمل غلاً، وإنما يحمل هذه المعاني الطيبة التي تظهر في هذا الشعار، فهو ليس شعاراً أجوف لا معنى له ولا حقيقة، وإنما هو شعار يدل على كمال هذا الدين وجماله.

قال: «إذا لقيتَه فسلم عليه» أي: ألق عليه السلام، وعليه أن يرد بالمثل، وخير المتلاقيين من يبدأ بالسلام، والسلام له ثمارٌ عظيمة وآثار مباركة على أهله في الدنيا، أجلها ما ذكره النبي ﷺ في قوله: «والذي نفسي بيده لا تدخل الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم» أو كما قال عليه الصلاة والسلام، إفشاء السلام ينشر المحبة، وانتشار المحبة بين المؤمنين ينشر الخير بينهم، وانتشار الخير بينهم يُفضي بهم إلى رضوان الله تبارك وتعالى والجنة، ولهذا ينبغي أن يُهتم بالسلام وأن يهتم بآداب السلام التي جاءت في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وهي مفصلة في كتب الآداب، ومنها كتاب «الأدب المفرد» للإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ فَإِنَّهُ بوب أبواباً عديدة نافعة في آداب السلام يحسن مطالعتها والوقوف عليها.

ثم ذكر الخصلة الثانية قال: «وإذا دعاكَ فأجبه» والدَّعوة هنا إذا دعاكَ إلى وليمة أو إلى مناسبة أو الإتيان إلى بيته أو مشاركته في طعامه أو نحو ذلك فمن حقَّ عليك أن تجيبه فيما دعاكَ إليه، وإجابته تُدخل الأُنس عليه، وتوجد المحبة، وحسن الترابط والتآخي، وتزِيل الوحشة، وفيها من الثَّمار الشيء الكثير، فمن حقَّه الإجابة إلا إذا كان لدى من دُعي عذرٌ يمنع ولا يتمكَّن من هذه الإجابة فلا يجيب، قال: «وإذا دعاكَ فأجبه» وإذا لم يكن متمكِّناً من إجابته يرُدُّ طلبه بلطفٍ ويعتذر بلطفٍ ويكون حديثه معه لطيفاً حتى يتم الخير والتواؤم والمحبة.

ثم قال وهي الخصلة الثالثة: «وإذا استنصحتك فانصَح له» أي: إذا طلب منك النصيحة، هذا معنى

«استنصحك» والسَّيِّئ في قوله: «استنصحك» للطلب، أي: إذا طلب منك أن تنصح له فانصح له، أي: قدم له النصيحة، والنصيحة مضيءٌ حديث مفصل عنها بعض الشيء عند قوله ﷺ: «الدِّين النصيحة» وذكر منها النصيحة لعامة المسلمين، فهي مطلوبة بين المؤمنين ولكن يزداد تأكدها عندما تكون مبنية على طلب، يأتيك أخوك المسلم ويطلب منك أن تنصح له، فالدين النصيحة، إذا استنصحك فانصح له، قدم له النصيحة المناسبة، والاستنصاح يطلبه من يطلبه لحاجته إلى رأي إخوانه ومشورتهم وقد قيل قديمًا: "ما ندم من استخار، وما خاب من استشار" ومشورة الإخوان هي من العقل؛ لأن الإنسان إذا كان عاقلًا ونظر في الأمر الذي يريده بعقله، وأيضًا استشار إخوانه ثَمَّنَ الرأي واتضحت الصورة ولا يخيب من استشار. وليس كل أحد يُستشار، وإنما يُستشار أهل الديانة وأهل الخبرة ومن يُوثق بأرائهم، وكم من إنسان انحرف في مساره عندما استشار من لا خير فيهم ومن لا يوثق برأيهم ومن لا يعتبر بكلامهم، ولهذا الاستشارة لا تكون لكل أحد، والاستنصاح لا يُطلب من كل أحد، وإنما يُستنصَح من يوثق بدينه وأيضًا من له خبرة في أمر دنيوي وتُعرف ثقته ونصحه يُسأل ويُستفاد من تجربته وخبرته.

والإنسان يحتاج إلى مشورة إخوانه ويحتاج إلى نصحتهم فعليه في هذا المقام أن يستنصَح يطلب النصيحة في كل مقام بحسبه وبحسب حاجته للنصيحة.

وكذلك من طُلبت منه النصيحة عليه أن يقدِّر أمرها وأن يعرف قدرها وأن يحسن النصيح وأن يحقق قول النبي ﷺ: «فانصح له»، ومقتضى النصيحة له حسن النظر فيما يريد، فإذا كان مثلاً مترددًا في أمر هل يقدم عليه أم يُحجم، ثم استشارك قال: أريد أن أفعل كذا فما رأيك هل أفعله أو لا أفعله، ماذا تنصحنى، عليك أن تفكر هنا وتنظر في الأمر الذي طرحه عليك ولا تستعجل في الإجابة؛ لأن الإجابة ينبنى عليها أمور وأمور، فتتأمل في الأمر الذي شاورك فيه وطلب نصحك هل أفعل أو لا أفعل، فتتأمل فيما إذا فعل ما الفوائد والثمار، وفيما إذا ترك ما الفوائد والثمار، وأيضًا فيما إذا فعل هل هناك محاذير وأخطار، وكذلك إذا ترك فتوازن بين الأمور، فإذا تحققت نفع وسلامة الفعل تشجَّعه عليه وتقول أنا أؤيد أن تفعل وأرى أنه مناسب وفيه من الفوائد كذا وكذا، تبين له وهذه هي النصيحة، وإذا تبين لك الضرر وخطر الفعل وما يترتب عليه من أضرار تقول له أنصحك ألا تفعل وألا تقدم على هذا الأمر لأنه يظهر لي أنه يترتب عليه كيت وكيت وكذا وكذا، وإذا كان فيه مصالح وفيه منافع وما ترجح عندك فيها شيء تذكر له ما تبين لك تقول: يظهر لي من المنافع كذا، ومن الأضرار كذا، وأنا أنصحك أن توازن بين المصالح والمنافع، فهذا

هو مقتضى النصيحة.

فلا بد من النظر والتأمل حتى تكون النصيحة على بابها، وإذا كان الإنسان لم يتبين له شيء يعتذر؛ يقول: أسأل غيري أو استنصح غيري أو هذا الأمر لا يظهر لي فيه شيء والباب في هذا واسع، أيضًا إذا استشار في أمور الشراء أو أمور النكاح أو أمور المعاملة أو غير ذلك من الأمور فالدين النصيحة، إذا استنصحتك تنصح له.

ولهذا ذكر العلماء في هذا المقام أنه إذا استنصح مثلاً في زواج أو مثلاً في معاملة مع إنسان أو نحو ذلك إذا كانت تعلم عليه عيباً يئناً يستوجب عدم الإقدام فمقتضى النصيحة أن تبين له وليس هذا من الغيبة، وإنما هو من النصيحة، وتنصح له وتبين له في حدود ما يقتضيه المقام، لا تجعل هذا مجالاً لك للوك الناس والدخول في أعراضهم، وإنما تبين له بحدود ما يتحقق به المقصود مع الحفاظ على أعراض الناس وعدم الوقوعة فيهم، وإنما في حدود ما تقتضيه النصيحة.

ثم ذكر الخصلة الرابعة قال: «إذا عطس فحمد الله فشتمته» إذا عطس، والعطاس معروف وهو خروج الأبخرة المحتقنة من الأنف باندفاع الهواء، وخروجها نعمة عظيمة من الله جل وعلا؛ لأن لو بقيت تلك الأبخرة محتبسة لأضرّت الإنسان فخروجها منه عظيمة وفضل عظيم من الله جل وعلا، ولهذا شرع في هذا المقام الحمد، حمد الله على هذه النعمة، ولهذا العاطس يحمد الله إذا عطس يقول: "الحمد لله"، وهو يحمد الله جل وعلا على هذه النعمة العظيمة والمنة الجليلة التي أكرمه الله بها فلم تبق هذه الأبخرة مؤذية له مضرّة بصحة، فيحمد الله على ذلك يقول: "الحمد لله" ومن حقّه عليك إذا عطس وحمد الله أن تشمّته، ومعنى أن تشمّته قائلاً: "يرحمك الله" كما جاءت بذلك السنة عن رسول الله ﷺ، وقولك له "يرحمك الله" دعوة له بالرحمة، وهذه الدّعوة منك له بالرحمة إنما تكون منك إذا حمد الله، وأما إن لم يحمد الله فلا يشمّت إلا من حمد الله جل وعلا عند عطاسه، ولهذا من لا يحمد الله عند عطاسه يفوّت على نفسه نعمتين: نعمة الحمد، حمد الله جل وعلا على هذه النعمة، ونعمة دعاء إخوانه له بالرحمة.

أما الخصلة الخامسة فهي قال: «وإذا مرض فعده» وهذا أيضًا حق من حقوق أخيك عليك عيادته إذا مرض، أخاً لك أو قريباً، إذا كان قريباً لك أو جاراً أو رفيقاً وبينك وبينه حقوق خاصة فإن الأمر يتأكّد، وعيادة المريض التي يدعو إليها الإسلام هي من جمال هذا الدين، وفيها من الآثار المباركة والثواب العظيم في حق الزائر، وأيضاً فيها من الأُنس والراحة والطمأنينة في حق المزور، ولهذا ينبغي مراعاة هذا

الحق، وأيضًا مراعاة آدابه، فلزيارة المريض آداب ينبغي مراعاتها، ومن أهم آداب زيارة المريض ألا يُثقل عليه بزيارته، وأن يدعو له بالأدعية ولا سيما ما ورد عن النبي ﷺ، كأن يقول: "أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك" سبعا أو نحو ذلك مما ورد فيدعو له بالشفاء، وأيضًا يبشره ويطمئنه ويتلطف معه، زار سلمان الفارسي مريضًا فقال له: أبشر فإنما أصابك كفارة ومستقتب، قال له: أبشر، فيبشر يبشر ويذكر بأن المصائب كفارات، ويذكر أيضًا بالاحتساب، وأيضًا يذكر بأن العافية قريبة والعافية من الله، ويذكر بالدعاء ويؤانس، وهذا كله ينفع في المريض، وأيضًا يبشر من حوله ويطمئنهم ويسليهم ويواسيهم ويحثهم على العناية به فهذه ثمرة الزيارة، ولا تكون الزيارة إثقالًا على المريض أو إيذاءً له، ولا تكون أيضًا بما يناقض مقصود الزيارة، مقصود الزيارة مؤانسة المريض وطمأنته ومواساته، وبعض الناس يزور ولكنه يفعل في زيارته خلاف مقصود الزيارة فيخرج من عند من زار وقد زاد في همه وزاد في ما فيه من مشقة، وهذا من الخطأ كأن يدخل على المريض ثم يعظم أمر مرضه عنده ويقول فيك كذا، ومصابك كذا، يعظم الأمر عنده فيزداد المريض غمًا، بينما إذا سلاه وواساه وطمأنه وهذا الأمر عنده وقال له بشائر الشفاء قريبة وصحتك أحسن هذه تنفع المريض وتفيده.

وكذلك قرابة المريض ومن عند المريض يطمأنون ويقال ما شاء الله صحته أحسن أو نحو ذلك مما يسلي ويطمئن المريض، ولا يقول لهم كلامًا يزعجهم أو يدخل عليهم شيئًا من المشقة أو الحرج، وبعض الناس لا يوفق في زيارته فيكون عدم زيارته خيرًا من زيارته، لأنه الزيارة للتسلية والمؤانسة، فإذا كان بزيارته يحق بهم المشقة، فهذا الزيارة عدمها أولى وهذا يكون ممن لا يوفق بالكلمة الطيبة، يذكرون أن رجلاً عاد مريضًا عنده قرابته، والمريض مرضه شديد، فلما أراد أن يخرج قال لقرابة المريض: رجاء إذا مات الوالد أعطونا خبر فلان مات والدهم ما خبرني، فمثل هذا الكلام ماذا فيه من الضرر، وماذا فيه من إدخال المشقة على أقارب المريض، وما التفت إلى مصالح الزيارة ومقاصد الزيارة وغايات الزيارة، ولهذا ينبغي على الإنسان كما أنه أن يزور أيضًا أن يراعي آداب الزيارة، وآداب الزيارة يذكرها أهل العلم ويفصلونها في الكتب التي هي كتب الآداب، ولهذا حقيقة ينبغي على المسلم أن يمر ولو مرة واحدة في حياته على كتاب من كتب الأدب حتى يتأدب بآداب الإسلام، وخير ما أنصح به في هذا المقام كتاب «الأدب المفرد» للإمام البخاري رحمه الله.

ثم ذكر الخصلة السادسة والأخيرة في هذا الحديث، قال: «**وإذا مات فاتبعه**» أي اتباع الجنازة، واتباع

الجنّاة فيها حقوق، حق لله ﷻ لأمره عبادة بذلك، وحق للميت، وحق لقراءة الميت لمواساتهم وتسليتهم وتعزيتهم في مصابهم، وقد ورد في اتباع الجنّاة ثواب عظيم وأن من اتبع جنازة حتى يُصلي عليها فله قيراط، ومن تبع حتى تدفن فله قيراطان، وهذا ثواب عظيم في حق اتباع الجنّاة وهي حق لله جل وعلا، وحق للميت، وحق لقراءته، هذا الحديث جمع ستة حقوق، ولم يجمع كل الحقوق؛ لكن قال العلماء: "إن هذه الحقوق الستة إذا اعتنى بها المسلم، ولانت بها نفسه، وقام بتطبيقها، كان تطبيقه لغيرها من الحقوق مما لم يُذكر في هذا الحديث متأتياً ومتيسراً" بينما إذا كان في هذه الحقوق العظيمة التي نُبه عليها وذكرت في هذا الحديث غير قائماً بها فإن عدم قيامه بغيرها من باب أولى.

الحديث الثلاثون

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مرض العبد أو سافر كُتب له ما كان يعمل صحيحاً مقيماً» رواه البخاري.

ثم ذكر المصنّف رحمه الله هذا الحديث العظيم فيما يتعلق بفضل الله جل وعلا وعظيم منه على المريض والمسافر قال عليه الصلاة والسلام: «إذا مرض العبد أو سافر كُتب له ما كان يعمل صحيحاً مقيماً» **«صحيحاً»** ترجع إلى المريض، **«مقيماً»** ترجع إلى المسافر، فالمسافر وكذا المريض يُكتب لهم ما كان يعملانه حال الصّحة والإقامة والذي منعهم منها المرض أو السفر، وهذا من عظيم من الله ﷻ وواسع فضله، المريض من نيته المُضي على ما كان عليه من أعمال وطاعات وعبادات؛ ولكن عاقبه بدنه وما أصابه من مرض فلم يتمكن من ذلك؛ فيكتب له أجره وثوابه كما أنه عمله؛ لأن النية قائمة والعزم قائم؛ لكن البدن هو الذي لم يتمكن فيكتب له عمله كما كان يعملُه صحيحاً، وهذا من فضل الله ﷻ تجده على فراشه وطريح مرضه؛ لكن أعماله تكتب، إن كان يصلي مع الجماعة تُكتب، إن كان يصوم النوافل تُكتب، إن كان يتلو كتاب الله يُكتب، إن كان يعود المرضى أو يشهد الجنائز أو غير ذلك من الأعمال كلّها تُكتب له، وتعدّ في ميزان حسناته، وبعض الصالحين في آخر عمره يكون طريح الفراش سنوات قد تكون عشرًا أو أكثر أو أقل وكل هذه السنوات يُكتب له فيها ما كان يعمل في حال صحته، وكذلك إذا تعطلت بعض جوارح الإنسان فأعاقته عن أعمال صالحة يعملها وكان ماضياً عليها فإنها كلّها تُكتب له، فالمرض وما يحصل للإنسان من تعطل في بعض جوارحه هذا ليس عائقاً عن طاعة الله جل وعلا وعن نيل ثوابه ﷻ، فمن كان ماضياً على الصّالحات فإنها تُكتب له حال مرضه كما كانت تُكتب له حال صحته وهو يعمل

تلك الصالحات.

وكذا المسافر الذي اعتاد على أعمال صالحة وطاعات؛ ولكن منعه منها وحال بينه وبينها سفره ومشقة السفر فإنه يُكتب له، وهذا أحد شواهد عديدة لئسر هذا الدين كما تقدم معنا إن الدين يُسر، وهذا من سماحة الدين، وأيضا من عظيم فضل الله تبارك وتعالى على عباده.

أذكر هنا لفظة مفيدة ونحن نتأمل هذا الحديث أحيانا بعض الناس من الشباب الأقوياء الأصحاء الذي هو في تمام صحته وقوته يدخل على بعض المرضى وربما يكون هذا المريض من الصالحين ويراه طريح الفراش فيأسف لحاله، يأسف لحال هذا المريض ويتألم لحال هذا المريض الذي هو طريح الفراش وقعيد المرض، ولكن حقيقة إذا كان هذا الشاب مفرطاً في طاعة الله؛ فالأولى به أن يأسف لحال نفسه وأن ينظر إلى نفسه هو، أما هذا المريض إن كان من الصالحين فأعماله الصالحة كلها تُكتب له وهو على فراشه فلا يؤسف عليه، وإنما يؤسف على حال من هو صحيحٌ معافٍ في قوته وبدنه وفي نشاطه وهو مفرطٌ في طاعة الله وفي عبادة الله وفي القيام بأوامر الله تبارك وتعالى، فأولى بهذا أن يأسف على نفسه وعلى تفريطه وعلى إضاعته للأوامر مع أنه نشيطٌ وقوي وفي اكتمال قوته وفي زهرة شبابه، فهذه لفظة لتأملها من خلال هذا الثواب العظيم الذي ذكره النبي ﷺ.

الحديث الحادي والثلاثون

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «أسرعوا بالجنابة، فإن تكُ صالحة فخير تقدمونها إليه، وإن تكُ غير ذلك فشر تضعونه عن رقابكم» متفق عليه.

ثم ذكر المصنف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذا الحديث وهو يتعلق بالجنابة، الميت إذا مات ماذا ينبغي على أهله أن يقوموا به تجاهه؟، قال عليه الصلاة والسلام: «أسرعوا بالجنابة» والإسراع هنا ليس فقط في الدفن، وإنما يتناول الإسراع في تغسيله، وتكفينه، وتهيئته، والصلاة عليه، ودفنه، كل ذلك يتناوله قوله ﷺ: «أسرعوا بالجنابة» فحق الميت أن يُسرع بتغسيله، وتكفينه، والصلاة عليه، ودفنه، كما قال عليه الصلاة والسلام: «أسرعوا بالجنابة» قال أهل العلم: "إلا إذا كان في عدم الإسراع مصلحة ظاهرة" كأن يكون مثلاً مات فجأة ولم يتحقق موته، فالتأني والاطمئنان والتأكد مطلوب في هذا المقام مع أنه في زماننا هذا تيسر معرفة ذلك عن طريق بعض الوسائل والأجهزة من خلال الأطباء وأهل الخبرة فيقررون، بينما قديماً قد يسكت المريض سكتة ويظن أنه قد مات، ولهذا يحصل أحيانا أنهم في المسجد وهم يصلون عليه يقوم، غسلوه وكفونوه

وجاءوا به إلى المسجد ثم يُفاجؤون به يقوم، وقد ألف أحد المتقدمين كتاباً أسماه «من عاش بعد الموت» ذكر فيه قصصاً من هذا القبيل، فالشاهد أنه يُتحرى ويتحقق من موته سارع أيضاً في دفنه، وبعض أهل العلم يقولون: "إذا هناك فيه مصلحة للميت بالتأخير غير الطويل فإنه يؤخر مراعاة للمصلحة، فلا يُعجل بدفنه إذا كان فيه مصلحة له أو لقربته" مثل أن يكون بعض قربته بعيدين عن المكان ويرغبون أن يكونون معه في دفنه والصلاة عليه، أو مثلاً يكون في تأخير بعض الشيء كثرة للمصلين عليه، والشاهدين لجنازته والداعين له، فبعض أهل العلم يقولون: "أن هنا فيه مراعاة لمصلحة الميت ولا بأس في التأخير" ويستدلون على ذلك بالدلائل لا مجال الآن للكلام فيها.

قال: **«أسرعوا بالجنازة»** ثم علل عليه الصلاة والسلام الإسراع، وفي التعليل أشار ﷺ أن الجنازة على نوعين: إما جنازة رجل صالح أو جنازة رجل ليس كذلك، فذكر الفائدة في الإسراع في الحالتين، قال: **«فإذا كان كانت صالحة»** يعني هذه الجنازة فهو خير تقدمونها إليه، فالإسراع في هذه الحالة فيه خير يُقدم إليه الميت، وهذا فيه إشارة إلى نعيم القبر وأنه روضة من رياض الجنة وأن أهل الإيمان ينعمون في قبورهم ويحيون فيه حياة برزخية طيبة، فهو يُعجل إلى هنا الخير ويُسارع به لتحصيل هذا الخير، قال: **«فإن كانت صالحة»** وهذا إشارة إلى أن الخير والثواب والنعيم مناط بالصالح، والصالح هذه كلمة جامعة تعني تحقيق أمرين: الأول: تصديق الأخبار، والثاني: طاعة الأوامر.

والأوامر تنقسم إلى قسمين: فعل المأمور، وترك المحذور، فهذه الجنازة الصالحة التي صاحبها مؤمن بالله يصدق ما جاء في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ويؤمن بأصول الإيمان، وأيضاً يفعل الأوامر وينتهي عن النواهي، يفعل الطاعات وينتهي عن المحرمات، فهذه صفتها أنها صالحة، فإذا كانت كذلك فإنها تقدم إلى خير لصلاحها، قال: **«فإن كانت صالحة فخير تقدمونها إليه، وإن كانت غير ذلك فشر تضعونه عن [عواتقكم]»**، **«إن كانت غير ذلك»** أي غير صالحة، هذا معنى قوله: **«غير ذلك»** والغيرية هنا في ترك الصلاة ترجع إلى الجانبين، إما تكذيب الأخبار، وإما التولي عن الأوامر، فحظ الإنسان من الإضاعة للصلاة بحسب حظه من الإهمال لهذين الجانبين، فإذا كان مكذباً للأخبار أو متولياً عن الأوامر، فهو غير صالح، والصالح هو المصدق للخبر، المطيع للأمر، وغير الصالح المكذب للخبر، المتولي عن الأمر، ولهذا قال الله تعالى: ﴿لَا يَصْلَحُهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ [١٥] الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٦﴾، ﴿كَذَّبَ﴾ أي: الخبر، ﴿وَتَوَلَّى﴾ أي: عن الأمر بما فيه من فعل مأمور وترك محذور، فعلى كل حال هنا الأمر يتعلق بالجنازة والإسراع في دفنها وما في

ذلك من مصلحة، ولعلك قد لاحظت هنا أن الإسراع إذا كانت صالحة فيه ملاحظة حق للميت «خير تقدمونها إليه» وإن كانت غير صالحة فمراعاة أمر يتعلق بمن يشيعونه.

قال: «شر تضعونه عن [عواتقكم]» فيسرعون حتى يتخلصوا من هذا الشر الذي على عواتقهم، فإن كانت صالحة خير يقدم إليه الميت، وإن كانت غير صالحة فهم يسرعون للتخلص من هذا الشر الذي يحملونه على عواتقهم ليواروه ويدفنوه في التراب، فلاحظ الاعتبارين.

وإذا كان هنا مطلوب الإسراع في الجنازة التي هي من النوع الثاني ليتخلص من هذا الشر، فإن ثمة هنا فائدة ينبغي التفطن لها يستفاد من دلالة الحديث إجمالاً ألا وهي أن الإنسان مطالب بهذه الحياة أن يسارع بالبعد عن الشر أينما كان، وهذا واضح إفادته من قوله: «شر تضعونه عن [عواتقكم]» فإذا كان من هناك شر، وأهل الشر وأهل الفساد وأماكن فساد، فإن المسلم مطالب أن يسارع وألا يتوانى وألا يترضى في البعد عنهم والفكاك منهم والسلامة من شرهم، فهذا مستفاد من قوله ﷺ: «شر تضعونه عن [عواتقكم]».

